الثقافة

الأزمة الاقتصادية والاجتماعية تضعها في أزمة وجود

صالات السينما في لبنان تحاول الصمود... ولكن!

لا احد في منأى عن الكارثة الاقتصادية والنقدية. الصالات السينمائية التي ظلت تعمل حتى خلال الحرب، تجد نفسها اليوم امام ازمة وجودية بكل ما للكلمة من معنى. انخفاض مخيف في عدد مرتادي الصالات التي اعادت افتتاح ابوابها في حزيران الماضي، وعجز المواطن عن شراء تذكرة باربعين الف ليرة، وتخبط هذا القطاع بسبب الارتفاع الكبير في سعر صرف الدولار، ما يجعل اي عطل في آلة يكلّف اصحابها الاف الدولارات من دون وجود مصدر لتعويض هذه الخسارة

عملية التعقيم مستمرة في الصالات.

انه الامتحان الاصعب الذي مر على موزعي الافلام الاجنبية ومستورديها واصحاب الصالات السينمائية في تاريخ لبنان. هذا ما يجمع عليه المراقبون واصحاب الصالات لدى الحديث معهم. حتى ابان الحرب الاهلية، لم يختبروا شيئا مماثلا. في عز الحرب، كانت الصالات شغالة، وكان الناس يسرقون وقتا مستقطعا بين قصفين ليشاهدوا الافلام في الحمرا وجونيه وغيرهم . رغم العنف والقصف والخطر، كانت المعنويات مرتفعة والحاجة الى الثقافة والفن والترفيه حاضرة بقوة. الا ان ما يحصل اليوم يستحيل استيعابه والتعايش معه: ازمة صحية فرضت اقفالا على مدى عام تلته اعادة فتح الصالات السينمائية في حزيران الماضي، بقدرة استيعابية تصل الى النصف فقط احتراما للتباعد الاجتماعي الذي تفرضه الوقاية من فيروس كورونا. ازمة نقدية ومالية واقتصادية حلقت بسعر صرف الدولار لتجعل العاملين في القطاع السينمائي امام خطر وجودي حقيقي، فيما المواطن الذي تدهورت قدرته الشرائية، وصار منشغلا بتحصيل لقمة العيش ليس الا، قد يشعر بأن الذهاب الى السينما وشراء تذكرة تروح بين 40 الف ليرة و80 الف ليرة، امر يندرج ضمن الكماليات، بعدما كانت التذكرة تباع بـ15 الف ليرة.

> **مشكلتنا الاكبر هي سعر الصرف**

ما زاد الطين بلة هو انفجار مرفأ بيروت الذي الحق اضرارا جسيمة ببعض الصالات القريبة من موقع الانفجار، لتكتمل حلقة اليأس والتراجيديا التي تغرق فيها البلاد منذ ما يقرب من عام. واذا كان المسرحيون عاودوا نشاطهم على خشبات المدينة، بعروض متواضعة لا تتطلب كلفة عالية، وبدعم وتمويل خارجيين، ماذا يفعل الموزعون واصحاب الصالات الذين يعرضون عادة افلاما تحظى بإقبال جماهيري، خصوصا الافلام الهوليوودية والاجنبية التجارية؟

الناظر في الارقام سيصدم للفارق بين الاقبال في عام 2019 والاقبال في 2021، نظرا الى ان عام 2020 شهد اقفالا للصالات نتيجة الحجر.

كيف الاقبال اليوم على الصالات السينمائية بعد عام على الحجر؟ كيف يقيّم الموزعون واصحاب الصالات الواقع اليوم؟ هل هناك من حلول او خطط بديلة في جعبتهم؟ ما هي التحديات التي تواجههم؟

اسئلة حملناها الى مدير الانتاج والبرمجة في مجموعة صالات "امبير"، بسام عيد، احد اقدم العاملين في مجال شراء وتوزيع الشرائط السينمائية منذ حوالى اربعين عاما، كما الى اسحق فهد مسؤول البرمجة والاعلانات والتوزيع في صالات "غراند سينما" في لبنان. ◄

نقطة على السطر

من قلب الحداد... الأمل

انه زمن انفلات الغضب، العشوائي احيانا، المعذور غالبا، المتلاعَب به، داخلا وخارجا. وهذا طبيعي في لحظات المخاض والتحول. هو ايضا زمن الفوضى والضياع، حيث تخطئ الحشود المجروحة والمقهورة، فتسدد الضربات الى نفسها ومصلحتها احيانا، والى رموز وطنية فوق كل شبهة. هذا هو العمى الجماعي، بعد الاحساس الجماعي بالظلم، في قلب الدوامة المجنونة... وفي اللحظات المصيرية، نتمسك بالمدينة، وروحها، وقيمها، وذاكرتها، ومستقبلها، وحقها في الحياة، اكثر من اي وقت مضى! نتمسك اذا بالممارسة الثقافية، والبعد الثقافي.

رب قائل انه زمن البحث عن لقمة العيش، عن الدواء والحليب والخبز والمحروقات. صحيح! هذه معضلة الجميع، في كل الاوساط الاجتماعية والمناطق، لبنان كله على شفا الهاوية. لكن ليس بالخبز وحده يحيا الانسان. ومقاومة الهاوية، يكون ايضا بالتمسك بالهوية، واعادة الاعتبار الى مقومات صمود روح الامة، وعقلها، ومخيلتها، وذاكرتها، من الهمجية والتلف والانغلاق.

لا عجب في ان يكون هناك في بيروت وطرابلس وصيدا وصور، وكل انحاء الجمهورية، من يعمل على الصمود على جبهة الثقافة: اي الفنون، من رقص وموسيقى ومسرح وتشكيل، وخصوصا السينما، هذا الفن الجماهيري بامتياز. ولا ننسى القصص الشعبي، والاناشيد الحماسية التي نسمعها في الشارع وهي جزء من لاوعينا الجماعي. ليس الصمود فقط بفعل الدعم الاجنبي، والجمعيات، والمنظمات غير الحكومية التي تدعم الانتاجات والتظاهرات الثقافية، والمحترفات، ومشاريع الترميم... نتحدث قبل كل شيء عن صمود، هو تجسيد لارادة وايمان مئات النساء والرجال، من كل الاعمار، الذين يؤمنون بدور الثقافة، ويريدون احياءها بكل قواهم وكيانهم.

وعشية الذكرى الاولى لكارثة المرفأ، يشارك عدد لا يحصى من المبدعين، في نشاطات مختلفة الشكل والمحتوى والاطار، لقول هذا الجرح الجماعي بارقى الاشكال واكثرها بلاغة، وقدرة على النفاذ الى الوعي الجماعي.

وظيفة التعزية واحياء الذكرى وغير ذلك من طقوس، ليس تأجيج الجراح بل تهدئتها، ولا زرع اليأس بل التشبث بالامل، وليس التحريض بل خلق المواساة والبحث عن آفاق تجاوز. تلك هي العدالة، وتلك هي وظيفة الثقافة ايضا. والثقافة اليوم تنبعث بثقة، وتتغلغل في الضمير والوجدان بلسما وعزاء، وسعيا الى المستقبل الافضل، والوطن الذي يشبه اباءه ويحميهم. لذلك نفرح كلما افتتحت صالة، دائمة او موقتة، او اعيد افتتاحها بالاحرى بعد طول اقفال. نعم، في هذه الظروف! لا داع للدهشة والاستنكار، واعتبار الثقافة تسلية لاصحاب البال الهانئ، اي "ترفا بورجوازيا" بعد الخبز والعدالة تأتي الثقافة، والا لما تفاجأنا بكل هذه المبادرات الشخصية، المستقلة، لافراد ومجموعات، من اجل استعادة الحياة الثقافية، في حدود الممكن، وفي موازاة الواقع الصعب.

من ينظم حدثا، او يقدم ابداعا اليوم، يساعد شعبه على النهوض ايضا. يعطينا شحنات الانسانية التي نحتاجها لئلا نستحيل وحوشا كاسرة. من يعيد فتح الصالات، حتى التجارية، هو جزء من انتفاضة اعادة الروح الى بيروت، وكل لبنان. لن تتغلب بيروت على الاعصار، وتصرع الوحش الاسطوري الذي يتهددها، الا اذا بقيت شبيهة لنفسها. يريدون لها ان تتغير، وتصبح فضاء بلا روح، لجماعات ضائعة خائفة جائعة يائسة متناحرة... يريدونها مسخا يتنكر لماضيه ويتوه عن المستقبل. لكن حراس المدينة كثر. لم يعينهم احد، لم يكلفهم احد، لا يتقاضون مكافأة في معظم الاحيان. حراس المدينة يبحثون عن سبل الخلاص الجماعي، لا الفردي، اقتصاديا ونقديا اولا، على مستوى الاساسيات والبنى التحتية والخدمات الحيوية. الثقافة تشبث بالمدينة... بيروت التي لن يستطيع احد هدمها او تغييرها او استبدالها!

سمير مراد

بسام عيد: تراجع مرعب

"امبير" من الصالات الاقدم في لبنان. احتفلت بمئويتها قبل عامين، لتجد نفسها اليوم امام ازمة وجودية بكل ما للكلمة من معنى. هل مرت على الصالة اوضاع شبيهة بما نشهده اليوم في لبنان، بحكم عراقتها؟

يجيبنا مدير الانتاج والبرمجة في مجموعة صالات "امبير" بسام عيد قائلا: "امبير من اعرق الصالات في لبنان ومن المشجعين على السياحة في لبنان. لكن لا اعتقد بأننا مررنا بأمر مشابه لما يحصل اليوم، ربما في عام 1982، شهدنا ظرفا مشابها، حين ارتفع سعر صرف الدولار الدولار وارتفعت معه اسعار بطاقات السينما. لكن لسوء الحظ اليوم، فالحالة الاقتصادية والتلاعب المستمر في سعر صرف الدولار عوامل حالت دون مواصلة "امبير" مهمّتها كما يجب. صالات "امبير" انتشرت في كل مناطق لبنان من البقاع الى طرابلس والنبطية، وفي كل المحافظات تقريبا. لكننا اليوم لم نستطع اعادة افتتاح الصالات في المحافظات بسبب الحالة الاقتصادية، فاقتصرت اعادة الافتتاح على بيروت والشويفات، وهذا ينطبق على الصالات الاخرى غيرنا لأن الوضع الاقتصادي في هذه المناطق سيء للغاية، ولا قدرة شرائية للمواطن هناك".

عن العقبات التي تواجههم، يجيب: "كسائر الناس، نعاني من التحديات ذاتها. هناك اولا تحليق سعر صرف الدولار، وشح السيولة في جيوب الناس. فعلى سبيل المثال، من كان معاشه مليونا او مليوني ليرة لبنانية، ما عاد هذا المبلغ يكفي، ليفكر اصلا في الذهاب إلى السينما مع اولاده وشراء الفوشار وغيره. لم يعد امرا واردا بالنسبة الى اي عائلة الاجتماع في صالة السينما الا اذا كان مدخولها من الخارج، اي ان احد افرادها المغتربين يرسل لها الاموال، او اذا كانت تقبض بالدولار. أضف إلى ذلك أزمة شحّ المازوت، فهذا ما قد يجبر ربما الصالات على الاقفال اذا لم يتوافر المازوت لها في وقت قريب. باختصار، الحالة

بسام عيد.

يرثى لها، خصوصاً اننا الان في موسم الصيف، ونحتاج الى المكيّف، والى صيانة المعدات وغيرها من الامور. مثلا، اذا تعطّلت لمبة واحدة في آلة معينة، فهذا قد يكلفنا حوالى 2000 دولار لشراء واحدة جديدة. فكيف سنستطيع تدبّر هذا المبلغ بـ"الفريش دولار" وكم من تذكرة نحتاج للبيع من اجل تعويض ثمن هذه اللمبة".

حين نتحدث مع عيد في الارقام، تتجلى الازمة بشكل واضح، يقول لنا: "لنأخذ اسبوع عيد الاضحى. عادة ما كان يرتاد صالاتنا في هذا الاسبوع حوالي مئة الف شخص في السنوات السابقة. هذه السنة، بالكاد وصلنا الى عشرين الف شخص. اي بات يرتاد صالاتنا عشرون في المئة مقارنة بالاعوام السابقة. في الماضي، كنا نبيع بين الستين الف وسبعين الف بطاقة في الاسبوع الواحد. اما اليوم، فبالكاد نصل الى 15 الف بطاقة في الاسبوع. اضف الى ذلك انه لا يمكننا رفع سعر تذكرة الدخول كثيرا. نحن حددناها بين اربعين الف ليرة وستين الف ليرة حسب الصالات والكراسي. لكن بهذه الطريقة، لا احد يستطيع الاستمرار. بالكاد نحصّل معاشات الموظفين وثمن المازوت. في صالة الشويفات اجرينا حساباتنا لنرى حجم الكارثة. دخل الى صندوقنا 73 مليون ليرة، فجاءت فاتورة المازوت والتكييف سبعين مليون ليرة".

في نهاية حديثنا، يحمل بسام عيد عتبا خجولا على لجنة الرقابة، اذ يقول لنا: "كنا نعوّل على فيلم Snake Eyes: G.I. Joe Origins (فيلم ابطال خارقين) لطرحه في العيد. وصل الفيلم إلى لجنة الرقابة في الامن العام، التي حوّلته الى لجنة أخرى من الخارج لترى ما المقاطع التي يجب اقتطاعها منه، مما اجبرهم على تأجيلنا لما بعد عيد الاضحى حتى يمنحوننا الموافقة عليه. هذا الفيلم كنا نعوّل عليه كثيرا لطرحه في العيد، لنجد انفسنا مجبرين على تمديد الافلام المعروضة في صالاتنا بسبب عجز اللجنة التي حوّل اليها الفيلم من خارج لجنة المراقبة في الامن العام، عن الاجتماع واستكمال الاجراءات ومنحنا الموافقة للاسف".

اسحق فهد: الحالة تعبانة

عن الاقبال على الصالات السينمائية بعد اعادة افتتاحها في حزيران الماضي، يقول اسحق فهد مسؤول البرمجة والاعلانات والتوزيع لصالات "غراند سينما" في لبنان: "اذا كان عليّ مقارنة وضعنا بالوضع العام السائد اليوم في البلد، استطيع القول بأنه جيد، لأن الوضع العام في لبنان كارثي وغاية في السوء. فكما تعلم، هناك كورونا الذي يجبرنا على قدرة استيعابية للصالة لا تتخطى الخمسين في المئة، كما ان آخر عرض لدينا هو عند الثامنة والنصف ليلا وليس العاشرة والنصف كما كان سائدا. وما زال الناس خائفين من الوباء، وهناك ايضا ازمة البنزين والمازوت. اضف الى ذلك كله وضع الليرة. الوضع الاقتصادي سيء جدا بطريقة جعل السينما والترفيه بشكل عام في آخر سلم الاولويات عند المواطن. فهو يفضل انشطة لا تكلفه مالا، مثل الجلوس على شاطئ البحر وغيره من الانشطة المجانية. وطبعا، هناك غياب المزاج والنفسية والمعنويات للاقبال على السينما بسبب كل هذه الظروف التي ذكرتها".

عن المقارنة مع 2019 مثلا، يجيب: "لقد انخفض الاقبال هذه السنة عن عام 2019 بنسبة ثمانين في المئة"، متحفظا عن اعطاء ارقام "لأنني لست مخوّلا لذلك".

وما اذا كانت الافلام الهوليوودية التي ينجذب اليها الناس عادة قد تساهم في إعادة الناس الى الصالات، يجيبنا: "في الاجمال، نحن نعوّل عادة على الافلام الهوليوودية الضخمة كما على الفيلم اللبناني. حاليا، لا توجد افلام لبنانية بعد، وانا لديّ فيلم لم اطرحه بعد هو "يربو بعزّكن" (اخراج ديفيد اوريان ــ تأليف اسحق فهد). كتبت الفيلم منذ سنتين، وكان يفترض طرحه في يوم الثورة تماما، اي في 17 تشرين الاول 2019. لكن الطرح تأجل بسبب الاحداث المفاجئة التي اندلعت حينها. لذا، لم اطرحه يومها، وما زلت مترددا الان لأنني اخشى ان الظرف ليس مؤاتيا للسينما. لذا، نعوّل الان على الفيلم الهوليوودي عله يعيد الناس إلى الصالات".

اسحق فهد.

> **20 الف شخص فقط دخلوا الصالات في اسبوع الاضحى بعدما كانت السنوات السابقة تسجّل حوالى مئة الف**

حين نتطرق الى المشاكل التي يواجهها القطاع، يقول لنا اسحق فهد: "المشكلة الكبرى والاسوأ التي نواجهها هي سعر الصرف. فكما تعلم، ان اردنا ان نحدد ثمن تذكرة الدخول حسب سعر صرف الدولار، هي التي كانت تبلغ في ما مضى 10 دولارات او 15 الف ليرة لبنانية، فقد تصل الى 200 الف ليرة اليوم. لكن يستحيل ان نرفع سعرها الى هذا السقف، لذا حددنا ثمن التذكرة بـ50 الف ليرة لبنانية. لكن هذا المبلغ يمثّل خسارة كبيرة بالنسبة الينا، لكننا افتتحنا فقط للمحافظة على سير القطاع وتحريك عجلته، كما من اجل العائلات التي تعتاش منه. فهذا القطاع، كما تعلم، يعيل حوالى الفي عائلة في لبنان، وهذه كارثة اذا قررنا عدم الافتتاح. لذا، قلنا لأنفسنا لنعد فتح الصالات وتحريك العجلة الاقتصادية ولنواصل استيراد الافلام، فيمكننا ان نتحمل عدم الربح في هذه المرحلة، لكن المهم عدم الخسارة. لكن المؤسف اننا بتنا نخسر الان. فحين افتتحنا في حزيران، كان سعر الصرف 10 الاف ليرة، لكنه اليوم تخطى العشرين الف ليرة. وحين حددنا سعر التذكرة بـ50 الف ليرة، كان الامر اصلا يمثّل خسارة بالنسبة الينا، فكيف بالاحرى الان. هذا أسوأ ما نواجهه الان".

وحين نسأله عما اذا كان الوضع القاتم قد يدفعهم الى اغلاق صالاتهم في لبنان، يجيبنا بشكل مقتضب: "لهلأ فاتحين".

س. م